مؤسسة غرس القيم
للاستشارات التربوية والتعليمية

# الأسرة المسلمة

# سكن واطمئنان

محاضرة أُلقيت بتاريخ: ١٤٣٠/١/٢٩هـ

للأستاذة: أناهيد بنت عيد السميري

مستشارة تربوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المنَّان الذي امتنَّ علينا بنعم كثيرة لا نحصي شكرها، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

تعتبر الأسرة المسلمة النواة الأولى لبناء المجتمع الإسلامي، وسلامة وقوة هذه النواة يقودنا بعون الله لمجتمع إسلامي قوي، ومن هنا كان للأسرة كبير اهتمام في الكثير من التشريعات والأحكام في الإسلام وكلما كانت الأسرة سعيدة مطمئنة كانت محضنًا خصبًا للإنتاج في جميع النواحي.

لذلك نستطيع أن نقول إن من أهم الأهداف التي يجب علينا طرحها ودراستها : الرغبة الجادة بأن تكون الأسرة المسلمة سكنًا واطمئنانًا.

بمعنى أنَّ الأسرة المسلمة يجب أن تكون سكنًا واطمئنانًا وهذا تقرير تؤيده استدلالات نظرية لا نهاية لها، وكثير من النصوص تدلُّ على أنَّ بيوت أهل الإسلام ألقى الله عز وجل فيها من المودة والرحمة ولذلك من المفروض أن تكون سكنًا واطمئنانًا وهذا ما نجده في أغلب في بيوتنا أو بيوت الناس من حولنا أو ما نسمعه في التعليم من حال الأسر وغيره يخالف هذه الحقيقة ممَّا يجعلنا نقول بأن هذه الجملة لا تجسد غالبًا إلا معنى نظريًا نفتقده في الواقع، أما الواقع فنجد فيه أن الأسرة هي سبب الاضطرابات أو هي بنفسها موطن الاضطرابات إما لاضطراب أبناءها أو لكونها مكان يقع فيه الاضطراب.

ومن هنا تبرز الحاجة إلى الخروج بهذه الجملة من الإطار النظري إلى الواقع التنفيذي.

هناك الكثير مما يكتب نظريًا حول هذه الجملة، فلو فتحنا أي كتاب نظري يتكلم عن الأسر عمومًا وعن الأسرة المسلمة خصوصًا لوجدنا فيه الكثير من التنظير والسؤال الآن:

ماذا نفعل من أجل أن تكون الأسرة المسلمة سكن واطمئنان؟

أي أننا نريد أن نبدأ خطوات عملية لتحقيق ذلك، وقبل أن نبدأ تلك الخطوات سنعرج على حقيقة هامة لابد من وضعها قيد الاعتبار لتحويل المفهوم النظري إلى مفهوم عملي.

حقيقة هامة: إنَّ المسؤول عن تحويل هذه الجملة من الخبرية إلى إلى واقع فعلي هم رؤوس الأسرة (الأب – والأم).

وبفرض أن أحدهما قرر أن لا يكون سببًا للاستقرار فعلى الآخر أن يتحمل المسئولية التامة وسنضرب لذلك مثال: إذا قرر الأب مثلاً أن لا يكون سببًا للاستقرار فعلى الأم أن تعي دورها تمامًا وتستوعب جميع الخطوات التي نطرحها هنا وتفكر بها جيدًا وتطبقها بمفردها ولتتصور نفسها كأنها في مركب هي والأب والأبناء الصغار الذين لا يقوون على التجديف والمركب معتمد على أن يجدف طرف من اليمين وطرف من الشمال ولنفترض أن الأب قرر أن لا يجدف، ماذا ستفعل الأم؟ بالتأكيد أنها ستجدف بيديها الاثنين ، ولا يوجد أم ستترك التجديف لأنها لابدَّ أن تفعل ما تستطيع لينجو أبناءها وتنقذ هذه الأسرة، لتسكينها، ولتأمينها.

ولا يوجد من يفكر أن لا يجدف ليغرقوا جميعًا لِما وضعه الله في قلب الأم من قوة عاطفة تجاه أبناءها ومن الحنان والحب لهم، رغم كل الآلآم التي يمكن أن تتعرض لها الأم.

هذا وضع مفترض، وهناك وضع آخر موجود أيضًا وهو تصور الأم أن الأب لا يجدف، لكنه يجدف وهي غير شاعرة خصوصًا أننا وُصِفنا بوصف يؤلمنا لكنها الحقيقة!! أننا نكفر العشير.

فكفراننا العشير معناه أنه كان يجدف طوال السنين الماضية لكن الآن تعب لسبب أو لآخر أو تخلَّى لسبب أو لآخر فأنسى تلك السنين الماضية وأقول ما أحسنتَ الدهر قط!!

ومن هنا نتجه إلى حقيقة أخرى يجب الانتباه لها قبل الدخول في تفاصيل تحويل الجملة الخبرية إلى جملة فعلية، وهي طبيعة علاقتنا مع الزوج الذي هو الركن الثاني في الحياة بالنسبة للأسرة كيف تبدأ في أولها ثم كيف تنتهي أو كيف بعد التقدم، أشبكي يديك إلى الداخل تمامًا هذه الصورة هي بداية العلاقة بين الزوج وزوجته التشبيك التام ثم مع الأيام يبعد هذا التشبيك إلى أن يبقى أطراف الأصابع بحيث تكون هذه اليد التي من أطراف الأصابع بمثابة المظلة لمن تحتها من الأبناء وهذه هي الحياة الطبيعية، أن تبدأ الحياة بقوة تشابك ثم تنفصل رويدًا رويدًا إلى أن تصبح بمثابة المظلة.

فكونك تريدين أن تكون الحياة بعد عشرين سنة من الزواج بنفس الصورة في أول الزواج سيأتي بحالة من الإهمال الشعوري لمن تحتك لأن التركيز سيكون على نفسك ومشاعرك وطلباتك، خصوصًا إذا علمنا أن المرأة عندما تبلغ سن الأربعين –وحتى الرجل– تكون وصلت إلى النضج العاطفي الذي تتحول فيه التصورات إلى تصورات عميقة وليست سطحية، وهذا الكلام يشهد له كلام الله وليس كلامنا حيث أنَّ سن الأربعين الذي نستحي منه هو في الحقيقة إشارة للفخر فالذي وصل سن الأربعين وهو على دينه الذي هو رأس ماله ولم تأخذه الفتن بعيدًا يكون وصل إلى أمر يسأل الله فيه الثبات ويلتفت إلى الوراء ويقول سبحان الذي نجاني من المهالك، ويوجد أناس في عمري فعلوا وفعلوا من الفواحش فسبحان من نجاني! هذه الآيات عن سن الأربعين يجب أن تقع في قلبك موقعها

لتعرف ما دورك على الحقيقة فماذا قال الله في سن الأربعين: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾[1]

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾ : (أوزعني): من أعظم معاني جمع القلب، أوزعني: أصلها وزع والوزع الكف وأوزعني: أي ألهمني ووفقني ورغِّبني،والمعنى أولعني بذلك وكُفَّني عما يُباعدني عنك، يعني أجمع قلبي على أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي، تصور لما تبلغ الأربعين تقرأ صفحاتك الماضية، تقرأ نعم الله وتربية الله، كيف أن الله رباك وحماك وأوصلك؟!..

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ : بقوة تفكيرك بنعم الله.

﴿ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴾ : كيف أن الله –عز وجل– يسر لي بهما هذه الحال التي أنا فيها.

﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ : يصبح دورك كله وتفكيرك العمل الصالح الذي يرضي الله.

تأتي الآن النقطة المهمة التي هي شاهد لنا: ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ : يعني كونك تصل إلى هذا السن وترى نفسك تحتاج أن تتوب هذا هو الخير والبركة، أما أنَّ تتبع هواك فتبقى تحت طيشك، هذا هو الهلاك! لن تُهلك نفسك فقط بل حتى من تحتك.

وإذا نظرنا للسياق: ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾

ثم أنا عندي همَّ عظيم، هم أولادي

﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ﴾ بعد سن الأربعين كأني اكتشف الحقيقة، ما هي الحقيقة؟

أنه لا مصلح على الحقيقة إلا الله! لأني أقول يا رب أصلح لي في ذريتي، معناه أنا عاجزة عن إصلاحهم، وهذه الجملة لا تحتاج إلى شاهد، الواقع الذي نعيشه يشهد على أني كشخص عاجز عن إصلاح نفسي فكيف أستطيع أن أصلح ذريتي؟!

ومن هنا يبدأ المنطلق لتحويل هذه الجملة من خبرية إلى فعلية وهو ما يمكن أن نسميه: "التربية بالاستعانة".

هذا العنوان هو الذي سيبين لنا كيف نصل لأن تكون الأسرة سكن واطمئنان.

وهو يتكون من كلمتين كل منهما تحتاج إلى الكثير من التوضيح لاستيعاب ما خلفهما من معاني.

---

[1] [الأحقاف: ١٥]

## التربية بالاستعانة

الحديث في هذا الموضوع يحتاج إلى مناقشة محورين أساسيَّن وهما :

المحور الأول : توضيح مفهوم الاستعانة .

المحور الثاني : توضيح مفهوم التربية وكيف أستعمل فيها الاستعانة .

## المحور الأول: الاستعانة

سنبدأ في هذا المحور من حيث انتهى بنا الحديث في المقدمة السابقة من خلال قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾

وخرجنا من طرحنا بنتيجة هي أننا عندما نصل إلى ذلك النضج نتصور الحقيقة وهي أن هؤلاء الذرية لا يصلحون بي إنما يُصلحهم الله .

لكن ليس كل من وصل إلى النضج فَهِمَ ذلك..

ولهذا ينشأ السؤال: هل أبقى أنتظر بدون عمل شيء وأقول أن الذي سيصلحهم على الحقيقة هو الله؟

ليس هذا المطلوب ، هناك طريق لابد أن نسلكه، هذا الطريق هو التربية بالاستعانة.

حتى نفهم هذا الطريق سنبدأ في هذا المحور بوضع خمس قواعد لمفهوم الاستعانة

**القاعدة الأولى:** ابتلاءك في الدنيا ليس لقواك الذاتية، إنما لقوة استعانتك.

✓ أنت والابتلاء:

الله خلقنا واختبرنا بهذه الحياة قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[٢]

اختبرك الله في الحياة أن تكون مستقيمًا، أن تكون راضيًا عن ربك،وهذا الاختبار يحتاج منك اجتهاد حتى تنجح

فهل ستنجح في الاختبار بقواك الذاتية؟

لابدَّ أن تقف لتسأل من أين لك أصلاً قوة ذاتية؟

○ حقيقة وصْفك:

لنستمع إلى حقيقة قوانا بل إلى أوصافنا من خلال كلام ربِّنَا :

في أوائل سورة الإنسان قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾[٣] أي: أنت لم تكن شيئًا مذكورًا، ثم قال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾[٤] ماذا نفعل به؟

﴿ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[٥]

فأنت أيها الإنسان لم تكن شيئًا، ثم أصبحت شيئًا ثم أُعْطِيتَ ملكات ثم أُعْطِيتَ طريقًا سببًا للإسعاد .

الله هو الذي أوجدك، أعدك، أمدك، أسعدك وهذا كله ملك لله فماذا تظن في نفسك؟ وفي قواك؟

في سورة النحل تتقرر هذه الحقيقة جلية قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٦] فهذه حقيقة وصفك.

وأيضًا قال تعالى: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[٧]

---

[٢] [الملك: ٢]

[٣] [الإنسان: ١]

[٤] [الإنسان: ٢]

[٥] [الإنسان: ٢،٣]

[٦] [النحل: ٧٨]

[٧] [النساء: ٢٨]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴾[٨]

ثم أتى الاستثناء ﴿ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾ هؤلاء المصلين ماذا عندهم يجعلهم يخرجون من صفات النقص؟

عندهم ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾[٩]

إذا كانت هذه أوصافنا كيف سنربي أبناءنا ونحن لا نملك لأنفسنا ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا ﴾[١٠]

فكيف أملك لهؤلاء الذين أربيهم النفع والضر؟!

إذن لابد أن نقف أمام الحقيقة !!

من أنت؟ هل لك قوة ذاتية؟

من أين لك قوة ذاتية وخالقك العليم بحالك يُبين حقيقتك!!

خرجنا من النصوص بأننا لا نملك قوة ذاتية، إذن من أين نستمد القوة التي نتحرك بها أو نقضي بها شؤوننا؟

✓ لا حول ولا قوة إلا بالله :

قال النبي ﷺ لأبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ((أَلَا أُعَلِّمُكَ، أَوْ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ؟ تقول: لاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ))

عندما تخرج من المنزل ماذا تقول: ((بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ))[١١].

يعني يا رب أنا خارج لعملي، وأريد أن آتي بمصالحي وليس لي حول ولا قوة إلا بك.

عندما يؤذن المؤذن فيقول: ((حي على الصلاة حي على الفلاح)) ماذا تقول؟ ((لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ)) . يعني أنا يا رب لا أستطيع أن أصلي إلا إذا أعطيتني الحول والقوة على طاعتك.

والكنز: مال مجتمع لا يحتاج إلى جمع، وذلك أنها تتضمن التوكل والافتقار إلى الله تعالى. ومعلوم أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله وقدرته، وأنَّ الخلق ليس منهم شيء إلا ما أحدثه الله فيهم، فإذا انقطع طلب القلب للمعونة منهم وطلبها من الله فقد طلبها من خالقها الذي لا يأتي بها إلا هو، ولهذا يأمر الله بالتوكل عليه وحده في غير موضع.

---

[٨] [ المعارج: ١٩-٢٠]

[٩] [الفاتحة: ٥]

[١٠] [الأعراف: ١٨٨]

[١١] [سنن أبي داود/كتاب:الأدب/ بَاب مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، وقال الألباني: صحيح]

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في "لا حول ولا قوة إلا بالله" قال: "لا حول لنا على العمل بالطاعة إلا بالله ولا قوة لنا على ترك المعصية إلا بالله".

وأخرج أيضًا عن زهير بن محمد أنه سئل عن تفسير "لا حول ولا قوة إلا بالله قال: لا تأخذ ما تحب إلا بالله، ولا تمتنع مما تكره إلا بعون الله"

ولذلك كانت كنز من كنوز الجنة، فهي كنز لأنها تكون مخبأة للعبد، والكنز هو الشيء المخبأ، فهي كنز مخبأ لك، لأن من آثارها الطاعة فالعبد يجد أثر هذه الكلمة في الحياة من جهة العطاء والقدرة على الطاعة، ويجدها يوم القيامة أجورًا متكاثرة لأنها تتضمن عبادة التوكل والافتقار.

فقول لا حول ولا قوة إلا بالله يتأكد معه أن يفهم مدلولها، ليكون ذكره لله واستعماله للذكر في موطنه عن علم وفهم وإدراك، وبهذا نجد الثمرة، ونعرف أنَّ حياتنا اختبار وأنَّ اختبارنا في قوة استسلامنا، وتفويضنا، وتبرؤنا من الحول والقوة إلا بالله وأنَّ العبد حقًا عبد يحتاج أنَّ يصمد إلى سيده ومولاه، العبد يفوض شأنه للملك، والملك العظيم الرب الكريم يدبر شأن عبده.

إذن أنت تُخْتَبر بقوة استعانتك فالطاعة لا تستطيعها إلا أن تتمسك بحبل الله، إلا أنَّ تستعين به إلا أنَّ يعطيك القوة على أنَّ تفعل هذا الفعل إلا أنَّ يمدك بالأسباب قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾[١٢]، فإذا لم تستعن به واستطعت إنما هذا أثر معاملته لك بالحلم والكرم وجميل صفاته، فهو الرحمن ذو الرحمة الواسعة، الرحيم ذو الرحمة الواصلة، الحليم الذي لا يعاجل عباده بالعقوبة.

وكلما قويت الاستعانة من العبد جاء الخير من الرب، وصَلُحَتْ الأحوال، ونَزَلت البركات، وانتفع الخلق بنعم الله من الأموال والأرزاق والأزواج وأهم شيء في موضوعنا الأبناء.

ومن أجل ذلك يأتي نص الدعاء في أذكار الصباح والمساء: ((اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ))[١٣]

هذا الدعاء يحتوي على عدة ألفاظ تدُّل على التوحيد:

١. (منك) يا رب
٢. (وحدك).
٣. (لا شريك لك).

حتى يدخل تمامًا إلى أعماقك أن تطرد تصورك أن لك قوة، إنما الحقيقة ((مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا

---

[١٢] [الكهف: ٨٤]

[١٣] [سنن أبي داود/ كتاب: الأدب/ بَاب: مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ، وقال ابن باز رحمه الله: حسن]

شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ))

ثم يأتي الحمد بعد اعتقاد الحقيقة في قولنا: ((فَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ)) [١٤]

وفي رواية صحيحة عند الإمام أحمد: ((وَأَشْهَدُ أَنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي تَكِلْنِي إِلَى ضَيْعَةٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ وَإِنِّي لا أَثِقُ إِلا بِرَحْمَتِكَ فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))

فمن بداية اليوم وأنت تتصور أنَّ هذه التربية ليست بيدك بل بيد الله وطريقها الاستعانة، فإذا استمر قلبك يقظًا طوال الوقت، وكل ما أقدمت على شيء تعلقت به سبحانه وتعالى ، النتيجة أن تأتيك القوة من الله، لكن قد تقول (أنا لا أطلب القوة وعندي قوة) فلتعلم أنَّ الله يعاملك بحلمه ورحمته.

ونجد أيضًا في أدعية النوم في ختام يومنا ما ينبهنا على هذه الحقيقة فتقول: ((أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ –زَادَ وَهْبٌ فِي حَدِيثِهِ – اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنْ الْفَقْرِ))[١٥]

المعنى أنا لا أملك أن أقضي ديني، دين يعني الحقوق التي علي (حق الزوج – حق الآباء – حق الأبناء –...) إلا أن تقضيها عني.

[١٤] [سنن أبي داود/كتاب: الأدب/باب: ما يقول إذا أصبح، وقال الألباني: حسن]

[١٥] [صحيح مسلم/كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ بَاب: مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ]

**القاعدة الثانية:**

قوة الاستعانة تأتي بطريقين من العلم:

١. معرفة العبد بنفسه

٢. ومعرفة العبد بربه.

من القاعدة الأولى تعلمنا أنَّ المطلوب منَّا : الاستعانة ، فيأتي الآن السؤال من أين تأتي الاستعانة؟

إنَّ طريقة الاستعانة أن يستقر في قلب المستعين معرفة نفسه المعرفة الحقيقية ، والعلم عن ربه العلم الصحيح.

وفيما يلي نعرض باختصار كلا الأمرين:

**أ/ معرفة الإنسان بنفسه.**

كلمَّا عرفت نفسك كلمَّا عرفت الحقيقة

ومن يقول أنه يعرف نفسه على الحقيقة يحتاج أن يختبر هذه المعرفة، لأنه تأتي مواقف على الشخص يتصور من نفسه ردة الفعل ثم يأتي خلافها تمامًا فأنت لا تعرف عن نفسك إلا ما أظهره الله لك عنها.

ولما ترى نفسك في تربية الله لك تكتشف الحقائق، فمثلاً تقول أنا لا أحسد أحدًا ، ثم تأتي في موقف تكتشف نفسك أنك حاسد، والمفترض أنه عندما تظهر لك عيوبك تبدأ بالعلاج وتتذكر أنه في الحقيقة أنت ليس لك قوة في إصلاح نفسك فتستعين: يارب نجني ، ثم تبدأ المجاهدة ألم تسمع في أوائل سورة العنكبوت قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾[١٦] لابدَّ أن يُفتنوا.

والفتنة ماذا تُظهر؟

﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[١٧] يعني يكذبون على أنفسهم، يصف نفسه بالكمال، يأتي الموقف يبتليه الله فيه يكتشف نفسه، ومع هذا يكذب على نفسه، هذه الصورة نفسها نجدها في قوله تعالى:﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾[١٨] يعني الذين صدقوا الذين آمنوا ، والذين كذبوا هم المنافقون.

---

[١٦] [العنكبوت: ١ – ٢]

[١٧] [العنكبوت: ٣]

[١٨] [العنكبوت: ١١]

ثم تُختم السورة بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [١٩] إذًا لما يأتيك البلاء لا يوجد إلا طريق واحد حتى تكون من الذين آمنوا وصدقوا: جاهد، فإذا سكّنت نفسك بعد الاكتشاف تكون من الذين كذبوا والذين نافقوا.

ولا تستهن بالذين نافقوا، ألم تسمع في سورة الحديد في وصف لحظة المحشر، والنور الذي يكون معهم ثم ماذا يحصل للمنافقين الذين مشوا مع المؤمنين في نورهم؟

لأنهم في الحياة كانوا معهم مختلطين، ماذا يقول تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ ﴾ [٢٠] ألم ندخل معكم ونخرج معكم ونتعلم وندرس ونتكلم عن ربنا...؟!

﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [٢١] يكفي أن تفهم ﴿ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ ﴾ يعني تعملُ أعمالاً وقلبك ليس موجود وضائع ولا تدري عن شيء، وتتمنى على الله أنَّ يعاملك معاملة المؤمنين المجاهدين الصادقين.

دائمًا نردد قول النبي ﷺ ((ألا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ)) [٢٢] أين نحن عن هذه المضغة مادمنا نعلم أنها سبب الصلاح والبركات علينا وعلى أهلنا وعلى أهل الأرض كلهم؟!

إذن نحن نريد الوصول إلى تربية أنفسنا بالاستعانة ، ثم قلنا حين الكلام عن الاستعانة قاعدتين: الأولى أن بلاءك ليس في قواك الذاتية وإنما في قوة استعانتك والقاعدة الثانية أنَّ قوة الاستعانة تكون بطريقين: معرفتك بنفسك ومعرفتك بربك.

فيأتي السؤال: **كيف أعرف نفسي ؟**

أعرف نفسي بطريقين، وهما :

١- التعلم عن وصف الإنسان في كتاب الله.

٢- الانتفاع بملاحظة تربية الله.

---

[١٩] [العنكبوت: ٦٩]

[٢٠] [الحديد: ١٣ – ١٤]

[٢١] [الحديد: ١٤]

[٢٢] [صحيح البخاري/كتاب:الإيمان/ بَاب: فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ]

والآن سنرى بالنصوص من نحن في المواقف والأحداث:

١- قال تعالى في سورة المعارج ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾[٢٣] كل الناس هذا وصفهم إلا من استثنى الله عز وجل وهم المصلين الذين جاءت صلاتهم أصلاً بالاستعانة.

٢- قال تعالى في سورة النساء ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[٢٤] أنت من الضعف لدرجة حتى أنك لا تملك لنفسك نفعًا ولا ضرًا فاعرف حقيقة نفسك.

٣- قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ﴾[٢٥].

هذه حقيقة نفسك أنت لا تملك أنَّ تنفع نفسك بطاعة ولا تدفع عن نفسك مضرة، فلا بدَّ أنَّ تعرف حقيقة نفسك من أجل أنَّ تتمسك بحبل الاستعانة.

٤- قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٢٦].

حتى الإيمان الذي في قلب العبد من الذي يجعله موجودًا؟ المنَّة والفضل لله وحده، فمِن مِنَّة الله عليكم أنَّ حَبَّب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ومن منة الله عليكم أن كرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان.

فاستعن بما حُبِبَ إليك من الإيمان أنَّ يُثَبِتَ عليك أعمال الإيمان فأنت لم تحبه بنفسك إنما حبَبه الله إليك.

٥- قال تعالى في سورة الأنبياء ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[٢٧].

فالله عز وجل أوقع في قلوبهم وألهمهم فعل الخيرات وأنَّ الله رزقهم حبها والقوة على القيام بها.

---

[٢٣] [ المعارج: ١٩-٢٢]

[٢٤] [النساء: ٢٨]

[٢٥] [الأعراف: ١٨٨]

[٢٦] [الحجرات: ٧-٨]

[٢٧] [الأنبياء: ٧٣]

٦- قال تعالى في سورة النور: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٢٨].

فأنت أصلاً زكوت بفضل الله ورحمته ، وبما أنَّ الله برحمته هو الذي سددنا للقيام بالعمل الصالح لابدَّ من التمسك بالاستعانة به للبقاء على العمل الصالح والاستمرار علي حتى نقبض.

٧- قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[٢٩].

حتى اللين في التعامل مع الصحابة، ولين كل قائد شرعي للتعامل مع من يقود هو من عند الله، حتى قلبك لا تملكه إنما هذه رحمة الله.

٨- قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾[٣٠].

في سورة الإسراء في سياق المنَّة على رسول الله ﷺ.

بالوحي والإسراء وهذا الكلام يقال للنبي ﷺ فماذا يكون غيره؟ لو شاء الله لذهب بمَّا في قلبك من الإيمان، أنت يا عبد لست بشيء، اختبارك ليس على قواك الذاتية بل اختبارك على قوة ذُلِّك وانكسارك لرب العالمين واستعانتك به.

٩- قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٣١]

الائتلاف بين قلوب الصالحين مِنَّة من الله وحده ، بل إن كل خواطر الخير من مِنَّة الله علينا وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ اللَّهِ فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ

---

[٢٨] [النور: ٢١]

[٢٩] [آل عمران: ١٥٩]

[٣٠] [الإسراء: ٨٦-٨٧]

[٣١] [الأنفال: ٦٣]

وَجَدَ الْأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)) معنى ذلك أنه حتى خواطر الخير التي تأتيك هي من عند الله، فعندما تأتيك خواطر الخير مباشرة تمسَّك بحبل الاستعانة فتتحول خاطرة الخير إلى فعل.

وكذلك فقد كان من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام ((ونعوذ بك من شرور أنفسنا)) معنى هذا أنَّ في هذه النفس شر وليس عليها الاتكال ولا بها الثقة، إنما كل الثقة بالله عزَّ وجلّ.

إذن حتى تأتي الاستعانة لابدَّ أن تعرف عن نفسك وتعرف ربك، وتعرف نفسك بطريقين، وهما :

١- التعلم عن وصف الإنسان في كتاب الله.

٢- الانتفاع بملاحظة تربية الله.

و حتى تنتفع بملاحظة تربية الله لابدَّ أن تتنبه في المواقف لتربية الله

**ب/ معرفة الإنسان بربه:**

لو تأملنا آية فاطر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٣٢] تعرف أن وصفك الحقيقي هو أنك فقير تام الفقر، والله وحده هو الغني الحميد.

ولكن قد لا يظهر في أذهاننا ما حدود الفقر عندنا لذلك تصوري معي هذا المثال:

هذه عائلة صائمة والحرم مزدحم، ثم فجأة وسط الزحام لم تجديهم! وأتى وقت المغرب، والطعام معهم، ما هو حكمك الآن؟ حكمك فقير، محتاج.

كل العباد وصفهم الدائم أنهم فقراء طوال الوقت، والله وحده هو الغني الحميد فلا تتصور أن أموالك تغنيك عن الله، بل الله يستطيع أخذك وأخذ أموالك!

في سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[٣٣]

الله واسع الغنى فلا يحتاج إلى ما يحتاج أحد من الخلق ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[٣٤]

ومن غناه: أن أغناهم، وأفناهم في دنياهم وأخراهم.

ومن غناه: أن الخلق كلهم مفتقرون إليه في إيجادهم وإعدادهم وإمدادهم وفي دينهم ودنياهم.

---

[٣٢] [فاطر: ١٥]

[٣٣] [إبراهيم: ٨]

[٣٤] [الذاريات: ٥٧]

ومن غناه: أنه لو اجتمع من في السموات ومن في الأرض الأحياء منهم والأموات في صعيد واحد فسأل كل منهم ما بلغت أمنيته فأعطاهم فوق أمانيهم، ما نقص ذلك من ملكه شيء.

ومن غناه: أن يده سحّاء بالخير والبركات، الليل والنهار، لم يزل إفضاله على الأنفاس.

وهنا يحتاج العبد أنَّ يتعلم عن معاني أسماء الله –عزَّ وجلّ– والكلام حول اسم الغني يطول المقام فيه ولكن لابدَّ أنَّ تعلم أنَّه غني عن عبادتك وأنَّه محمود على أن شرع لك العبادة. أيضا لابدَّ أنَّ تعلم أنَّه قيوم قائم على كل نفس بما كسبت لا تأخذه سنة ولا نوم.

مَنْ أغنانا فدبرنا وأطعمنا وسقانا؟! قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾[٣٥].

مَنْ أغنانا فرزقنا وَرَزَق العالمين؟! قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾[٣٦].

مَنْ أغنانا فأخرج لنا الزرع؟! قال تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾[٣٧].

مَنْ أغنانا فأتانا بالليل لنسكن فيه؟ قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٣٨].

مَنْ سوى الله يأتينا بالماء ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾[٣٩].

مَنْ سواه يُسيِّر الفلك في البحر ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾[٤٠].

إذن أنت يا عبد تعيش بمداد من الله فاعلم أنَّه الحي القيوم ذو الرحمة الواسعة ذو الرحمة الواصلة الرحمن الرحيم، واعلم أنَّ الطريق إلى معرفة الله هو معرفة أسماء الله وصفاته في كتابه ثم بعد ذلك تأتي بقية الطرق، فلا بدَّ أن نتوب إلى الله من تركنا وإهمالنا للتعلم عن الله، ونسأل الله أن يفتح علينا في العلم عنه، لأن الثبات ليس له طريق إلا أن تتمسك بحبل الله، وعلى قدر قوة علمك بالله ومعرفتك به وبصفاته وعظمته وملكه وعلمه وقدرته ستكون قوة

---

[٣٥] [الحجر: ٢٢]

[٣٦] [الملك: ٢١]

[٣٧] [الواقعة: ٦٤]

[٣٨] [القصص: ٧٢]

[٣٩] [الملك: ٣٠]

[٤٠] [يس: ٤١]

استعانتك ويقينك أن لا معين إلا الله . وهنا يظهر لنا مكمن الخلل في ضعف استعانتنا بالله وهو ضعفنا في معرفة أسمائه وصفاته ..

من خلال القاعدة الأولى والثانية نفهم ما يلي:

أن الله اختبرنا ليرى أيُّنا أحسن عملاً ولن نكون أحسن عملاً بسبب قوانا بل سنكون أحسن عملاً عندما نستعين بالله ولكي نستعين بالله لابد أن نتعلم عن أنفسنا ونتعلم عن ربنّا.

نتأمل أوائل سورة الملك، يقول فيها تبارك وتعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[٤١]، قبل أن يقال لنا أنَّ الله خلقنا ليبلونا أيُّكم أحسن عملاً، ذُكرت ثلاث صفات للرب سبحانه وتعالى وهي:

١. أنَّه تبارك: بمعنى تعاظم في كمال صفاته، وأنَّه هو الذي ينزِّل البركات.
٢. وأنَّه مالك الملك.
٣. وأنَّه على كل شيء قدير.

بعد هذا قيل لنا أنَّ الله خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً. إذن وأنت تُبتلى في هذه الحياة اجعل هذه الصفات الثلاث منك على بال.

أنَّ الله كامل الصفات تعالى وتعاظم وأنه مالك الملك لو أراد أن يعطيك شيئًا لا يستطيع أحد ردَّ عطائه، ولو منعك الله شيء هل تتصور أنَّه منعك لأنَّه لا يملكه أو لأنَّه لا يقدر عليه؟ كلا.. بيده الملك سبحانه وتعالى.

فإذا فهمت أنَّ الله اختبرك في الحياة بأن تستعين به، وأنت تعلم أنَّه مالك الملك، وأنَّه على كل شيء قدير إذن كلما مرَّ على خاطرك أنك تملك اعلم أنَّه لا يملك على الحقيقة إلا الله فاستعين بمن يملك.

كلما مرَّ على خاطرك أنك قادر على شيء ادفع عنك هذا الشعور وافهم أنك لا تقدر على شيء أبدًا واعلم أنَّ الذي يقدر على الحقيقة هو الله.

ولو تأملنا هذا الحديث لعرفنا عظمته وضعفنا ﴿يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ﴾ رواه مسلم

[٤١] [الملك: ١-٢]

مثال: شخص جالس، يريد أن يقف، ماذا يشعر تجاه القيام؟ يشعر أنه قادر عليه، وهنا المشكلة أنت لست قادر على شيء وهو وحده سبحانه الذي على كل شيء قدير، هذا أمر صعب، ولكن يجب تدريب النفوس عليه إلى أن تستحي من أن تأتي لحظة تظن فيها أنك قادر بدون الاستعانة، أنت لست بقادر أبدًا وهو على كل شيء قدير، وأنَّه لما مكنك من غير استعانة ابتلاك وعاملك بحلمه.

**القاعدة الثالثة:** عالِج ضعفك في الاستعانة

الاستعانة عبادة قلبية والعبادات القلبية تحتاج إلى جهد من أجل القيام بها وكثيرًا ما نعاني من ضعف التحكم في حركة قلوبنا ويكون العلاج بالتدريب والملاحظة والتركيز.

فضعفنا في الاستعانة منشؤه ظنُنا أننا خبراء لا نحتاج إلى مُعين ونحن قد نستيقظ فنجد أنفسنا لا ندرك أين نحن، ماذا علينا، ما الوقت!! فضعفٌ مركب على ضعف.

فنحتاج أن ندرب أنفسنا على الاستعانة بالله في صغير الأمور قبل كبيرها

يظهر لنا السؤال المباشر كيف أدرب نفسي؟

أولاً: أبدأ بعملية الملاحظة:

نلاحظ أنفسنا ما هي المواطن التي لا نستعين فيها؟

- كل شيء لا تحمل همّه على أنه سهل.
- الأمر المعتاد عليه الذي تألفه وتعمله دائمًا.

هذان الموطنان يحتاجان منَّا إلى ملاحظة، وأن نجمع قلوبنا فيها، هذه النقاط هي التي نرى أنفسنا فيها أننا نستطيع ثم فيها نُخْذل ولو بعد حين!

لو أراد بك خيرًا يخذلك، حتى تفهم أنك لست على هذا العمل قدير، بل أنت بحول الله وقدرته أصبحت قديرًا.

ثانيًا: بالتركيز:

عندنا نقاط ضعف أخرى في الاستعانة، مثلا عندما نقول بسم الله لكننا غير مستحضرين أي نوع من أنواع الاستعانة ولا المشاعر القلبية، فلو كنت تشرب الماء -في الغالب- أننا نقول بسم الله ولا يقع في القلب شيء، بسم الله يعني أنا أستعين بك يا رب أنَّ تنزل علي البركات في شربة الماء، فيأتي الجواب في العقل: وما الذي سيحصل لو شربت الماء؟!!

أهل الطب والعلوم يفهمون هذا، وكيف أنَّ شربة الماء ماذا تفعل للشخص! غصة تنتهي بها الحياة! ليس شرطًا أن أصل إلى هنا، يكفي أنَّ تفهم أنك تحرم بركة الماء، والبركة لا يأتي بها إلا الله كما في الحديث " البركة منَّ الله " فلابدَّ أن تركز وأنت تقول: بسم الله. درّب نفسك على التركيز وكلما دربت نفسك أحيا الله قلبك؛ كأنك تأتي إلى أرض موات فتحييها، لابدَّ أن يكون السقي ببطء، وكلما كنت محبًّا للقرب فعلت أفعال القرب.

**نختم هذه القاعدة بمثال تربوي:**

في تربية الأبناء وغرسك للقيم، نقول هذا سهل فأنا كأم يجب علي أن أغرس القيم، ماهي القيم التي يجب أن أغرسها؟

القيم التي تناسب طفلي. فإذا قلت: أنا دوري مع أبنائي غرس القيم فيهم بالإضافة إلى الاستعانة بالله، نقول: دورنا أن نستعين بالله لغرس القيم.

فغرس القيم أصلاً لا يمكن أن يحصل بدون استعانة، لأن القيم نفسها من أين لي فهمها كما ينبغي؟ ومن أين لي بالقيم المناسبة لهذا الطفل دون هذا الطفل؟

نفس القيم المناسبة تسديد من عند الله، فلو استعنت تُوفق، فالأطفال مختلفين في الطباع تجدهم أشقاء في بيت واحد أحدهم كريم والآخر بخيل، واحد حنون والآخر جاف من أين لي الإصلاح؟

ما هي القيمة التي يجب أن أغرسها ليصبح في هذا لين ويصبح في الآخر كريم؟

عن ماذا أكلمه؟ ومتى أكلمه؟ وما الكلمات التي سأقولها؟

هذا كله لا يستطيعه العبد وحده بل كله يأتي بالاستعانة .

مثلاً هو بطبعه كريم فأغرس فيه قيمة الكرم فيصبح مسرفًا.

إذًا التربية لا تأتي إلا بالاستعانة فقط، فبالاستعانة يأتي كل شيء.

تستعين بالله على أن تأتي بكلام يناسب ولدك، فالمراهق لو منعتيه من الفعل الذي يريده قد يزداد عدوانًا، ولو تركتيه يفعل ما يريد زاد في فعل الخطأ، استشيري من أردت استشارته ولن تجدي إلا إجابتين شخص يقول لك: دعيه يفعل والآخر سيقول لك: امنعيه.

ولكن أنا ماذا أفعل؟ أيهما صواب؟

أنت لن تفعل إلا ما هو ناتج عن تعلقك بالله واستعانتك به ثم تأتي بعد قوة الاستعانة كلمات في وقتها ووقعها في نفسه كل هذا لن يأتي إلا بعون من الله عزَّ وجل.

ولا تعتقد أنك وجدت الأثر بسبب اختيارك للكلام المناسب أو الطريقة المناسبة.

ولا تظن أيضا بسبب إتباع نصيحة فلان من الناس.

هذا فهم خاطئ لا تفهم ذلك بل اعلم وتيقن أن التسديد كان من عند الله وحده دون سواه.

إذًا فالقاعدة الثالثة تقول لنا: عالج ضعفك في الاستعانة بالتدريب على صغير الأمور قبل كبيرها، وبالملاحظة التي تُبرز لك نقاط ضعفك التي ترى أنك لا تستعين فيها وأفهمها جيدًا ثم ركز على أن تجمع قلبك وتستعين في وقتها.

## القاعدة الرابعة:

احذر العدو

هناك ثلاث أعداء للاستعانة:

أهمها: نفسك؛ لأنك لا تريد أن تتعب نفسك، فالاستعانة تحتاج إلى قلب، وحتى تعصر قلبك وتأتي بالاستعانة تشعر بجهد.

واعلم أن النفس مركب الشيطان عندما تصبح ضعيفة، قال تعالى: في سورة يوسف: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[٤٢] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ ﴾ أي من المراودة والهم والحرص الشديد والكيد في ذلك.

﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة وسائر الذنوب، فأنها مركب الشيطان وفيها يدخل على الإنسان ثم جاء الاستثناء في الآية فقال: ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ فنجَّاه من نفسه الأمارة حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها منقادة لداعي الهدي، متعاصية عن داعي الردى،فلذلك ليس من النفس بل من فضل الله ورحمته بعبده.

العدو الثاني: الشيطان.

أعدى أعداء الاستعانة هو الشيطان، عندما تقول: نستعين بالله لنفعل كذا. فيوسوس لك الشيطان ويقول: لماذا تستعين الأمر يسير ولا يحتاج استعانة.

هذه لحظات الشدة، عدوك أكره شيء له أن تستعين لأنه يعلم أنك لو استعنت أمدَّك الله فيثبطك ويقول لك:الأمر سهل عليك فإن استجبت له كانت المصيبة عليك.

فأخطر عدو على الاستعانة هو الشيطان فادفعه بالاستعاذة وقد وصف الشيطان لنا بأنه عدو يخذلنا، ويبث فينا ما يجعلنا بعيدين عن أعظم العبادات التي هي الاستعانة.إذًا لابد من تصور مقدار عداوة الشيطان، وهذا العدو له مركبان، مركب هو النفس الأمارة بالسوء والتي أشرنا إليها سابقًا، والمركب الآخر الذي يركبه فيدخل على الإنسان من قبله هو الصحبة.

العدو الثالث: الصحبة.

وهي أيضا من أعدى أعداء الاستعانة لكن بدون أن تشعر لا أنت ولا صاحبك.

---

[٤٢] [يوسف: ٥٣]

الصحبة قد تكون عدو خلفي للاستعانة وليس عدو أساسي العدو الذي يخذلك عن الاستعانة هو الشيطان والنفس الأمارة بالسوء وقد تكون الصحبة بدافع من الشيطان يخذلك عن الاستعانة، فمثلا تقول: بسم الله يارب أعني. فيسألك صاحبك باستغراب: لِمَ كل هذا الأمر لا يستحق!!

فصاحبك بهذا السؤال والذي كان مستجيبًا لوسوسة الشيطان سيخذل استعانتك وبالتالي سيأتي الضرر من عداوة الشيطان لك أنت وصاحبك.

وأحيانا أخرى قد يثني عليك صاحبك وأنه ليس هناك مثلك وبهذه الطريقة يجعلك لا تنكسر بين يدي الله.

فتأتي الصحبة دون أن تشعر وتهلك استعانتك.

## القاعدة الخامسة:

اعلم أن من تعرّف إلى الله في الرخاء؛ يعرفه في الشدة، فمن استعان الله في الرخاء، ألهمه أن يستعين به في الشدة؛ وإذا ألهمه؛ وفّقه.

قال ابن رجب –رحمه الله– في قول النبي ﷺ: "تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة" يعني أنَّ العبد إذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه فقد تعرف بذلك إلى الله وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة فعرفه ربه في الشدة روعي له تعرفه إليه في الرخاء فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصة تقتضي قُرب العبد من ربه ومحبته له وإجابته لدعائه فمعرفة العبد لربه نوعان: أحدهما المعرفة العامة وهي معرفة الإقرار به والتصديق والإيمان وهو عامة للمؤمنين والثاني معرفة خاصة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية والانقطاع إليه والأنس به والطمأنينة بذكره والحياء منه والهيبة له وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون".

فمعنى أن يتعرف العبد إلى ربه في الرخاء: يعني يقترب إليه، يحبه، يتعبد له، يستعين به، وقرب الله للعبد يعني: محبة الله له فتكون له معية خاصة: إجابة الله لدعائه.

فعليك أن تتصور الحياة كلها بين رخاء وشدة، زمن يستعين فيه العبد بالله، وزمن يعينه الله فيه، أنت تستعين فيعينك إلى أن يأتي الزمن الضيق فيعطيك الله من عنده، حتى تأتي آخر شدة يمر بها العبد: لحظة قبض الروح.

واقرأ في كتاب الله من الذي يُيَسّر له خروج الروح ويكون مرضيًا عنه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[٤٣] في الرخاء قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، وفي الشدة وقت قبض الروح تنزل عليهم الملائكة ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۖ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[٤٤].

فالحياة كلها بالنسبة للحظة الموت تعتبر رخاء، ولحظة القبض هي الشدة، ولتكون هذه الشدة يسيرة ويتعرف الله إليك فيها، تعرف إلى الله طوال الرخاء وقل: ربنا ثم استقم.

ماذا أفعل في الرخاء؟

في الرخاء طول الوقت درب نفسك على الاستعانة في صغيرة الأمور قبل كبيرها، وعندها ستوفق إلى تتبرأ من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته، ينفعك بكل ما فعلته في الرخاء ، ويجمع عليك قلبك في الاستعانة، وسيلقي في قلبك أن تستعين به وإذا ألقى الله في قلبي أن أستعين به وأنا استجبت لهذا الإلقاء سيأتي من ورائه التوفيق، فإذا أتى من ورائه التوفيق حدِّث ولا حرج عن البركات التي تنزل على العباد.

---

[٤٣] [الأحقاف: ١٣]

[٤٤] [النحل: ٣٢]

وهذه النقطة المهمة التي سنبدأ بها المحور الثاني من حديثنا عن التربية بالاستعانة وهو مفهوم التربية.

## المحور الثاني: مفهوم التربية

### – المسألة الأولى معنى التربية:

سنبدأ بذكر مفهوم كلمة التربية، فما معنى التربية؟

التربية هي تحويل الشيء من حال النقص إلى حال التمام.

هذا المفهوم يحتاج إلى مناقشة، لما أربي لابدَّ أن أفهم ما هو النقص وما هو التمام؟

فإذا نظرنا لحالنا في تربية أولادنا، هل يتضح لنا تمامًا ما هو النقص وما هو التمام؟

على أي قانون سنقدر النقص والتمام؟

الواقع يتنازعه الثقافات، والعادات، والعيب، والخوف من الشماتة،...

أي أنه من البداية لدينا مشكلة في تحديد النقص من التام.

مثال يوضح لنا هذه المسألة:

مثال: شاب في المرحلة المتوسطة أو الثانوية، وأصحابه أهل مكائد، وهو متفوق في دراسته لكنه لا يفهم مكائد أصحابه، وأمه تقول طوال الوقت: يارب قوِّه على أصحابه، فلا يكون غبيًا وينتصرون عليه، وفي البيت يتم وصفه بأنه لا يفهم أو على نياته، ويتم تحطيمه... ثم يأتي الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري في الأدب المفرد يقول النبي ﷺ فيه: ((الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ)) فإذا بحثنا في معنى (غِرٌّ) في شروح الحديث أو في لسان العرب، نجد أنَّ من صفات المؤمن أنه لا يتفطّن إلى مواطن المكائد؛ لسلامة قلبه، والفاجر عكسه، وهو موعود لو بقي على صفته وقوي إيمانه أنَّ الله يدافع عنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[٤٥].

فتأتي الأم والإخوة ويعدّلون وصف إيمانه ووصف كماله! ثم لما تواجه بالحديث تقول: الدنيا لا يصلح فيها هذا!

هذه من الإشكالات التي تحدث كأنها تتصور أنه سيكون لوحده، وكأن ليس هناك ربًّا يدافع عنه، وكأنها لا تؤمن أن الله يدافع عن الذين آمنوا، كأنها لا تؤمن أن الله –عز وجل– هو الذي يأخذ لنا حقوقنا، ولا كأننا نؤمن أنَّ استيفاء الحقوق في الدنيا أمر مستحيل!

---

[٤٥] [الحج: ٣٨]

كأنه ليس لك ربٌّ يكون معك!! لما نعجز نقول: يا رب! وأصلاً ليس لنا قوة ! ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[٤٦].

إذن هذا يعيدنا إلى النقطة مرة أخرى ما هو الكمال الذي أريد أن أوصل أولادي إليه؟ هذا الأمر غير واضح، ومعالمه غير منضبطة.

إذن نجد عدم الاستقرار من جهة أن مقاييس الصواب والخطأ غير واضحة، وغير متّفق عليها..

قد يقول قائل: هل يعني هذا هدم الأعراف؟ لا ولكن أي عُرف يخالف الشرع لابد من إلقائه في الخارج، لابد من محاولة حقيقية لسحب الأعراف المخالفة من نفوسنا حتى لا يصبح مقياسنا هو الناس فلا يوجد شيء نعمله لوجه الله!! كل شيء من أجل الناس! حتى أننا أصبحنا نقول لأبنائنا كُل مثل الناس، اجلس مثل الناس، نام مثل الناس، ولو طلب أبنائنا شيئًا مثل أصحابه لا نرغب فيه نقول لهم: ما علاقتك بالناس!!

من العرض السابق نصل إلى أن معنى التربية هو تحويل الشيء من حال النقص إلى حال التمام، وأول مشكلة نعانيها في (النقص والتمام)، وهذه المشكلة تحتاج تعديل وتغذية، وتحتاج أن أتحمل مسؤولية التربية، وأشعر أن التمام ليس من مقاييس هوائية، ولكنه بمقاييس شرعية.

- **المسألة الثانية: من المربّي على الحقيقة؟**

نعلم كما أشرنا سابقًا أن المربّي على الحقيقة هو الله الرب –سبحانه وتعالى– ولكن هذا العلم يحتاج مني إلى يقين ولا يكون مجرد كلام فقط.

- **المسألة الثالثة: مادام الله هو المربي على الحقيقة فما هو دوري؟**

أول قاعدة في دوري كمربي تتضح من قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[٤٧] وهذا يعني أن كل الناس المحيطين بك اسمهم (فتنة) فلابد من تصور أن الأبناء فتنة.

ما معنى فتنة؟ يعني يختبرك الله ماذا تفعل بهم ومعهم.

وقد أعطيت ثلاث أدوات لدخول هذا الاختبار:

١. الأداة الأولى: الرحمة

---

[٤٦] [النساء: ٢٨]

[٤٧] [الفرقان: ٢٠]

هذه أول أداة تجعلك تقومين بدورك؛ فمِن دورك أن ترحميه، يكون في قلبك رحمة له وعطف واحتواء، لا أحد يتحمّله غيرك، لا منذ أن كان صغيرًا.. ، كل مشاعر الرحمة موجودة، هذا عطاء وضعه الله في قلبك من أجل أنَّ تقوم بالاختبار كما ينبغي، لما تحمل هذه الرحمة وتضعها عند الجيران، وتحمل هذه الرحمة وتضعها على الهاتف، تصرف رحمتك على غير المستحقين، وتكون أذهبت أداة تربيتك!

### ٢. الأداة الثانية: الدعاء المستجاب

أنت من دون كل الخلق مع هذا الابن لك باب مفتوح في أي وقت ليلاً أو نهارًا، متى أردت أن تربيه اطرق هذا الباب، وقل: يا رب، فدعاؤك فيه مستجاب! هذه الآلة الثانية التي مُلِّكتها من أجل أن تدخل هذا الاختبار، لكننا نتجاهل هذا الطريق أو نستبطئه! وهذا يدلّ على وجود إشكال في تفكيرنا، قيل لك لا تنتظر الساعة المستجابة يوم الجمعة، ولا تنتظر ليلة القدر، ولا تنتظر بين الأذان والإقامة، قيل لك متى ما دعوت؛ استجيب لك، فماذا تنتظر؟! -مع اغتنامك كل ما ذُكر من أوقات الاستجابة-

ابتلاك الله بأصعب المهام، أن تأتي إلى نفْس وتشكّلها، لما أمرك بهذه المهمة، أتى لك بأعظم أدوات الإعانة، وهي مسألة الدعاء، وللأسف مستهان به، كيف تستهين بالدعاء وأنت تعلم أن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء؟!

والقضية الهامة في الدعاء أن تحرّر نيتك عند الدعاء.. ماذا تريد من وراء الدعاء؟! تريده أن ينجح من أجل أن تفتخر به وتعلو؟!!

لذلك يختلف الناس في المواقف والأحداث، والصدق وتحرير النية أمر مهم، وكونك تدعو، لابد أن تدعو بالصلاح والاستقامة، ادعوا الله أن يحبّب إليهم الإيمان، ويزينه في قلوبهم، ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾[٤٨]، أن يكون في قلبي قوة إرادة الصلاح لهم ولا يمنع هذا من طلب الدنيا لكن لا تكن ممن قال الله فيهم: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾[٤٩].

---

٤٨ [الأحقاف: ١٥]

٤٩ [البقرة: ٢٠٠]

### ٣. الأداة الثالثة: العجز

يعني من عوامل تربيتهم أنك عاجز عن تربيتهم، العجز عن التربية هو الذي يأتي بعامل الاستعانة، هذا العجز عامل إيجابي وليس سلبي، فلو استعنت تعطى، العجز يسبب لك الاستعانة.

إذن أنت كمربي فيك رحمة، ولديك باب مفتوح بينك وبين الله، وأنت عاجز، فالعاجز لما يكتشف عجزه يستعين، ويهب إلى الاستعانة.

فأنتِ أيتها الأم! وأنت أيه الأب! لا تتصوروا أن لديكم القدرة على إصلاحهم، ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا﴾[٥٠]، لنفسي أنا قبل أن يكون لهم.

ويُقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾[٥١]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾[٥٢].

يعني وصفي العجز، إن النبي ﷺ كان يهدي الناس هداية إرشاد لكنه لا يستطيع إن يهديهم هداية توفيق، فأنا عاجزة عن هداية التوفيق.

لأن الهداية كما نعلم نوعان:

١) هداية إرشاد، أن أقول لهم هذا هو الطريق.

٢) هداية توفيق، أن أضعهم عليه وأسيّرهم، هذا أنا عاجزة عنه.

ولذلك أُعطيت الاستعانة.

---

[٥٠] [الأعراف: ١٨٨]

[٥١] [آل عمران: ١٢٨]

[٥٢] [القصص: ٥٦]

**أخيرًا:**

الاستعانة: هي لحظة قرار داخلك، تفزع فيها إلى الله بقلبك، ولتعلم أن لحظة الفزع هذه تساوي لحظة التوفيق لأن:

التفويض ← يولد التسديد

إذا فهمت هذا الأمر ماذا ستفعل في الموقف؟ ستفزع بقلبك إلى الله، تطلب من الله أن يرشدك ويلهمك، حتى ولو بدون لسان مقالك، أما لو استعنت بلسان مقالك فخير وبركة.

وعندما أتأمل ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ أعلم أنني لا أستطيع أن أصلحها إنما مصلحها على الحقيقة هو الله.

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾[٥٣] فتوسّل إلى (الوهاب) أن يهبك هذه الموهبة، ولابد أن نتصور حقيقة عجزك ونقصك وأنه هنا طريق الكمال، وطريق القدرة، وهو الذي يدفعك لتستعين بمن له ملك السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير، فلابد أن نتصور كمال صفات الرب حتى نقف عند بابه وليس عند باب غيره.

وفي الختام نقول :

السؤال الأول: ما معنى التربية؟

تحويل الشيء من حال النقص إلى حال التمام، لابد أن يتعدل هذا في نفوسنا ونعرف ما هو النقص وما هو الكمال، لأن ولدي ممكن أن يكون في طريق الكمال وأنا أدعو الله وأرجعه إلى النقص ولا أعلم!

من أجل ذلك ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ لا أخصص مسائل وأقول يا رب يبعد عنه فلان وفلان! هذا التوصيف كأن ربنا لا يعلم! أنت اطلب منه أن يُهيّء له البطانة الصالحة، يُهيّء له الصحبة الصالحة، يصلح له قلبه، يحبب إليه الإيمان ويزينه في قلبه... استعمل أدب الدعاء ولا تستعجل.

فالتربية تحويل الشيء من حال النقص إلى حال التمام، هذه الجملة هي بداية المشكلة، ما الذي يسبب عدم السكن والاطمئنان؟ لأني أنا وهو والمجتمع في اعتصار شديد ما هو النقص وما هو التمام، من ثمّ كل واحد معه قانون والمجتمع عنده قانون وندور حول القوانين هذه وقد تكون أفسد ما يكون!

[٥٣] [الفرقان: ٧٤]

أيضًا لو تأملنا قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [٥٤]، هذه البذرة من أعطاك هي؟ ما أعطاك إلا الله، وهذه الأرض الخصبة من مالكها؟ لا مالك لها إلا الله، حرث هذه الأرض الخصبة ليس لي قدرة فيها، سقيها بالماء، والماء ليس بقدرتي، كله من الله.

فإذا أتتك البذرة ووضعتها في هذه الأرض الخصبة التي وهبك الله إياها، وسقيتها بالماء الذي وهبك الله إياه، وهذه كله بقدرة وطاقة أعطاك الله إياها، ثم انتهى دورك.

من فالق الحب والنوى؟ لا فالق للحب والنوى إلا الله.

من يخرج الثمر؟ لا يوجد إلا الله.

إذن هو فالق الحب والنوى، هو مخرج الثمرات، هو الذي وهبك البذرة، ووهبك الأرض الخصبة، ووهبك الماء ووهبك الطاقة... في النهاية: ﴿ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾.

وهذا ولدك نفس الصورة بالضبط، هل تتصور أنك أنت الذي تربيه أو الله؟ المربي على الحقيقة هو الله.

إذا كان المربي على الحقيقة هو الله، فما هو دورك؟؟

دورك أنك مُبتلى به، يختبرك الله ماذا تفعل، وأعطاك أدوات الاختبار المعينة (رحمة – باب مفتوح واصل في أي وقت – العجز الذي يفتح لك الباب الواسع، باب الاستعانة).

نختم بسؤال يطرح نفسه:

ما هي صورة النجاح في الاختبار؟

أولاً: أن تنتظر الفرج:

أول الأمر: حقق معنى ((رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا)) ما معنى تحقيق ذلك؟

أن تدعو وتقول يا رب ثم تأتي الأقدار على غير ما تتصور، الرضا مع انتظار الفرج هو موقفك.

يعني يكون في قلبك رجاء أن الله لا يخذلك، لابد أن يصلح هذه الذرية على قدر ذلك، حتى نصل إلى حدّ الاطمئنان ونكون ساكنين، وعندنا قوة رجاء، وحتى تكون ساكنًا مطمئنًا لابد أن تتصور أن الله لا يخذلك، بل انتظار الفرج بنفسه عبادة؛ إذن صورة النجاح أن تنتظر الفرج.

ثانيًا: قوة الذلّ والانكسار والطاعة لله عز وجل:

حتى يكون الله سمعك الذي تسمع به، وبصرك الذي تبصر به، ويدك التي تبطش بها، وقدمك التي تمشي بها.. حتى يتحقق لك معنى المعية.

---

[٥٤] [الواقعة: ٦٤]

تقرّب، تذلّل، انكسر؛ كلما تقربت وتذللت وانكسرت؛ كلما سُددت، أصبحت حكيما، نظرك للمسائل، سمعك للكلام، قرارات كلها تقترب من الحكمة؛ لأنه هو –سبحانه وتعالى– سيكون سمعك الذي تسمع به، بصرك الذي تبصر به، كلما تقربت إليه كلما سددك.

أنت تقرَّب لأنك مبتلى بالتقرُّب، وأحد المصالح من التقرُّب أن يسددك الله ويلقي على لسانك الحكمة فتتصرّف كما ينبغي.

ثالثًا: الصبر:

اعلم أن الله مع الصابرين، وهنا يظهر حقيقة معية الله، يكون الله معك، يسددك، يوفقك، أنت ارضَ بالله، تقرّب إلى الله، اصبر على أقدار الله، فتكون نتيجة هذه الثلاثة كلها أن يقع في قلبك الرجاء في الله، أن يسددك وأن يكون معك.

كل هذا يخرج أسرة غاية في السكن والاطمئنان

وبخلاف ذلك عندما تعتمد على نفسك تأتي مصيبة المصائب، تأتي النتائج السلبية، تأتي الآراء والاقتراحات، كل يوم تجد من ينازعك في الرأي.. إلى آخر ما نجده من الآراء المفسدة، قد أسمع رأي استفاد منه أشخاص مع أبنائهم، ولما أطبقه على ولدي يكون أفسد ما يكون! وهذا ملاحظ، فعليك أن تفزع إلى الله وحده وتستعين به.

والحمد لله رب العالمين